

الاستلزام الحوارى فى الدرس البلاغى العربى - السكاكى أنموذجا -

The dialogue entailment in the Arabic rhetorical lesson -Sakaki as a model-

د. خلدجة مرات

¹ جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2 -

khadidjamerat@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025-03-12 تاريخ القبول: 2022-05-19 تاريخ النشر: 2025-05-25

مُلَخَّصٌ مِنَ الْمَقَالَةِ

يهدف هذا البحث إلى معرفة ماهية الاستلزام الحوارى وملامح وجوده فى ثنايا كتابات اللغويين العرب القدماء وعقد مقارنة بين الدراستين العربىة القديمة والتداولية المعاصرة، وذلك بالإجابة على الإشكالية التالية: هل وردت الملامح الوظيفية فى كتابات اللغويين العرب القدماء؟ وكيف أطلق اللغويون العرب القدماء التسمية على الاستلزام الحوارى المعاصر؟ وماهى نقاط التقاطع بين الدراسات اللغوية العربىة القديمة "البلاغة أنموذجا" وبين اللسانيات التداولية مجسدة فى الاستلزام الحوارى؟

و من هنا نستشف أهمية البحث المتمثلة فى إبراز المنحى الوظيفى فى كتابات اللغويين العرب القدماء وجهودهم البحثية المتكاملة، ورصد أوجه التقاطع بين الفكر اللغوى العربى القديم، والدرس اللسانى التداولى المعاصر، فكما هو معلوم أنّ لكلّ عصر آلياته ومناهجه الخاصة.

كلمات مفتاحية: نظرية الأفعال الكلامية، الاستلزام الحوارى، الخبر والإنشاء.

Abstract:

This research aims to find out what the dialogue entailment is and the features of its presence in the writings of the old Arab linguists, and a comparison between two Arabic studies: the old studies and the modern one, by answering the following problematic: Are the functional features mentioned in the writings of old Arab linguists And how did the old Arab linguists called the modern dialogue entailment? What are the points of intersection between the old Arabic language studies "the rhetoric as a model" and between modern linguistics, embodied in the dialogue entailment?

From here, we notice the importance of research represented in highlighting the career path in the writings of old Arab linguists and their integrated research

efforts, and monitoring aspects of the intersection between the old Arab linguistic thought and the modern linguistic study, as it is known, each era has its own mechanisms and methods

Keywords: verbs theory, dialogic imposition, news and creation

1. مقدمة:

تعدّ التداولية علما لسانيا حديثا منفتحا على مختلف العلوم؛ إذ تهتم التداولية بطريقة استعمال اللغة، وبيان ما تتضمنه الكلمات عند الاستعمال بما جاءت به من نظريات لغوية معاصرة، وفق ما يتناسب مع معطيات التراث اللغوي العربي؛ بحيث قرر بعض النحاة أنّ هناك من الجمل ما يفيد الاستفهام، أو التعجب أو الأمر أي ما اصطلاح عليه عند اللغويين العرب بمفهوم "الإنشاء" وهذا ما جعل "أوستين" يعمد إلى الانتباه لدراسة بعض المقولات التي لا تصف شيئا، ولا تخبر بشيء، ولا تثبت أمرا، رغم اكتمال صورتها الشكلية، أي النحوية والدلالية مثل "أتحدّك" أو "قد وكلت أخي باستلام استحقاقاتي المالية" أو "ممنوع الدخول"¹. بحيث يتساءل أوستين: فيماذا نسمي جملة من هذا النوع أو عبارة متلفظا بها من هذا القبيل، إنّي أقترح أن أطلق عليها مصطلح: جملة إنجازية أو عبارة إنشائية أو اختصار إنشاء... ولقد اشتق لفظ الإنشاء من فعل أنشأ، وهو فعل يستخدم... عادة مع الاسم الحدث، ويدلّ على أن إحداث التلفظ هو إنجاز للفعل² فنتج هاهنا وظيفة جديدة للغة وهي الوظيفة الإنجازية أو ما تسمى بوظيفة الإنجاز التي تتبوأ مكانتها ضمن تصنيفات الوظيفية الأخرى بوصفها فعلا، وتصبح وظيفة الملفوظات الإنشائية من منظور أوستيني ليست هي تقديم صورة صادقة أو فاسدة عن واقع معيّن للأشياء وإنما هي إنشاء ذلك الواقع بموجب عملية التلفظ بها ذاتها، فيحدد التلفظ هاهنا المرجع الإشاري للرموز اللغوية، ويعبّر عن المقاصد ويحقق الأهداف من خلال الحجاج مثلا، وينجز باللغة فعلا معيّنا لينبني عليه فعل آخر، فيتنامى الخطاب³. ومن

هذا المنطلق يهدف هذا البحث إلى معرفة ماهية الاستلزام الحواري وملامح وجوده في ثنايا كتابات اللغويين العرب القدماء وعقد مقارنة بين الدراستين العربية القديمة والتداولية المعاصرة، وذلك بالإجابة على الإشكالية التالية: هل وردت الملامح الوظيفية في كتابات اللغويين العرب القدماء؟ وكيف أطلق اللغويون العرب القدماء التسمية على الاستلزام الحواري المعاصر؟ وماهي نقاط التقاطع بين الدراسات اللغوية العربية القديمة "البلاغة أمّوذجاً" وبين اللسانيات التداولية مجسدة في الاستلزام الحواري؟

و من هنا نستشف أهمية البحث المتمثلة في إبراز المنحى الوظيفي في كتابات اللغويين العرب القدماء وجهودهم البحثية المتكاملة، ورصد أوجه التقاطع بين الفكر اللغوي العربي القديم، والدرس اللساني التداولي المعاصر، فكما هو معلوم أنّ لكل عصر آلياته ومناهجه الخاصة.

إذ تهدف هذه الدراسة إلى رصد الملامح الوظيفية المتمثلة في الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري في البلاغة العربية القديمة؛ ممثلة أساساً في فكر السكاكي، ومعرفة أبعادها التداولية، كون أنّ البلاغيين اهتموا بأشكال الخطاب والإقناع، ودرسوا المخاطب وطريقة أدائه، والمخاطب وطريقة تلقيه الخطاب، ومحاولة مقارنتها بالاستلزام الحواري في نظرية الأفعال الكلامية المعاصرة، للوصول إلى نقاط التقاطع، وذلك بالاعتماد على المنهج الوصفي المقارن الذي يناسب طبيعة البحث، من خلال وصف كل من طريقة استعمال اللغة عند البلاغيين العرب القدماء وعند التداوليين المعاصرين مع عقد مقارنة بينهما. وقبل تحديد معالم الاستلزام الحواري في الدرسين العربي و الغربي، وجب الوقوف على الحقل الكبير الذي ينتمي إليه الاستلزام الحواري وهو حقل الأفعال الكلامية.

أولاً- نظرية الأفعال الكلامية :

تعدّ أفعال الكلام الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية، ومن أهمّ مراجعها، بل يمكن التأريخ منها للتداولية؛ حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، وهي تسمية اقترحت في سنوات الستينيات من أوستين، استأنفت من طرف "سورل"، قبل أن تكون مقبولة من طرف كلّ السانين الذين يعتدون بالنظرية الملفوظية⁴.

و تعرّف الأفعال الكلامية على أنّها أقوال تؤدي بها أفعال فيها يمكن للمرء أن ينجز أفعالا بواسطة اللغة، نحو أزوجك ابنتي، فبمجرد التلفظ بالقول تصير الابنة زوجة؛ ومن ثمّ يحدث فعل كلامي⁵. هذا وقد عمد أوستين إلى تقسيم المنطوقات من منظور نظرية الأفعال الكلامية إلى قسمين:

1 - إخبارية تقريرية: وهي أفعال تصف حقائق العالم الخارجي ، وتكون صادقة أو كاذبة، نحو قولهم "السماء تمطر" فهي تنقل معلومة إلى المتلقي أو تقرر واقعا، وتوصف بالصدق إذا كان المطر حادثا، كما توصف بالكذب إذا كان المطر غير حادث⁶.

2 - إنشائية أدائية: تؤدي بها أفعال في ظروف ملائمة، ولا توصف بصدق و لا كذب، بل تكون ناجحة أو غير ناجحة، طبقا لمعيار المواءمة والمخالفة، وكون المتكلم مؤهلا للقيام بالفعل، نحو قولهم: سأوصي بساعتي لأخي" فهذا المنطوق لا يؤدي إلى قول فحسب، بل يؤدي إلى وقوع فعل وهو "الوصية" ويدخل فيها "التسمية، الاعتذار، الرهان، النصيح، الوعد"⁷ وقد رأى أوستين أنّ هذا التقسيم ليس حاسما للتداخل بين المنطوقات الإخبارية والأدائية، وبعد ممارسة عدّة معايير للفصل بين المنطوقين لاحظ أوستين أنّ هناك منطوقات تكون "بين بين"، أي تحتل التقريرية والأدائية معا طبقا لملازمات الموقف والقرائن المحيطة به، فإذا قيل مثلا "الثور على وشك الهجوم" احتمل التقرير إن كان المتكلم يصف مشهدا، ويحتمل أن يكون تحذيرا أو تنبيها⁸. إذن نَبّه هاهنا أوستين إلى أنّ ثمة بعض العبارات اللغوية التي تحمل دلالة معيّنة بالرغم من أنّها لا تحتمل

الصدق أو الكذب⁹؛ إذ يميّز بين نوعين من العبارات "العبارات الوصفية" و"العبارات الإنجازية"، بحيث تمتاز العبارات الإنجازية بعدم احتمالها للصدق أو الكذب، إضافة إلى تزامن النطق بها مع تحقق مدلولها، وحتى تكون العبارة إنجازية فإنه يشترط مجموعة من الشروط المعجمية والنحوية الآتية:¹⁰

- 1 - يجب أن يكون الفعل الرئيسي للجملة فعلا منتميا إلى طبقة الأفعال الإنجازية (قال، وعد، سأل، حذر، أوعد...) .
- 2 - يجب أن يكون فاعل هذا الفعل المتكلم.
- 3 - يجب أن يكون زمن هذا الفعل الزمن الحاضر.

إنّ اختلال شرط من هذه الشروط في الجملة حتّى وإن توافرت على شرطين معا، يؤدي إلى انقلاب الجملة من إنجازية إلى وصفية، وقد لاحظ أوستين فيما بعد أنّه يمكن اختزال العبارات الوصفية والعبارات الإنجازية في صنف واحد ، ذلك أنّ العبارات المصنفة على أساس أنّها عبارات وصفية ليست في الواقع إلا عبارات إنجازية، فعلها الإنجازي غير ظاهر سطحا، وبذلك تكون جميع العبارات اللغوية عبارات إنجازية مع الفرق أنّ ثمة عبارات إنجازية "صریحة" ظاهر فعلها الإنجازي، وعبارات إنجازية ضمنية ، فعلها الإنجازي غير ظاهر¹¹.

وبناء على ذلك اقترح أوستين نظرية شاملة للأفعال اللغوية يمكن تلخيصها فيمايلي¹² :

- يشكّل التلفظ بكل عبارة لغوية إنجاز أفعال لغوية ثلاثة: فعل قول، فعل إنجاز، فعل تأثير.
- يتضمن فعل القول بدوره ثلاثة أفعال لغوية فرعية: فعلا صوتيا، وفعلا تركيبيا، وفعلا دلاليا.

• يشكل الفعل الصوتي التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمة إلى لغة معينة والفعل التركيبي تأليف مفردات طبقا للقواعد التركيبية للغة المعنية والفعل الدلالي استعمال هذه المفردات حسب دلالات وإحالات معينة.

• يواكب فعل القول بفروعه الثلاثة فعل الإنجاز المعبر عن قصد المتكلم من تلفظه بالعبارة كأن يخبر أو يسأل أو يعد أو ينذر، أو يوعد كما يواكبه فعل التأثير الكلامي، أي الأثر الذي يخلفه التلفظ بالعبارة لدى المخاطب كأن يستبشر أو يربح أو ينفعل أو يطرب أو يغضب.

وقد أعاد سيرل تنظيم مقترحات أوستين على أساس التمييز بين أربعة أفعال لغوية هي :
فعل التلفظ و الفعل القضوي و الفعل الإنجازي والفعل التأثيري وفيما يلي تحديد لمفهوم كل واحد من هذه الأفعال¹³ :

- فعل التلفظ: هو إنتاج عبارة لغوية طبقا للقواعد الصوتية والتركيبية للغة ما، ويختزل فعل التلفظ عند سيرل الفعلين الفرعيين الصوتي والتركيبى في مقترح أوستين.
- الفعل القضوي: وينقسم إلى فعلين فرعيين اثنين هما: الفعل الإحالي والفعل الحلمي، ويتم إنجاز الفعل القضوي بشقيه حتى تسند إلى ذات ما خاصية ما.
- الفعل الإنجازي والفعل التأثيري: فهما لا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين.

وقدّم سيرل تصنيفا للأفعال اللغوية بحيث قام بحصر هذه الأفعال في خمسة أصناف هي :

1- الأفعال الحُكمية: وهي أفعال تمثّل لواقع تمثيلا يكون صادقا أو كاذبا.

2- الأفعال الأمرية: وهي أفعال يقصد بها المتكلم حمل المخاطب على فعل شيء ما.

3- الأفعال الالتزامية: وهي أفعال يلتزم المتكلم بواسطتها بفعل شيء في المستقبل.

4-الأفعال التعبيرية: وهي أفعال تعبّر عن حالة نفسية تعينها شروط الصدق حول واقعة ما يحددها المحتوى القضوي للجملة.

5- الأفعال الإنجازية: وهي أفعال يتحقق محتواها القضوي، إذا توافرت شروط إنجازها، حين التلفظ ذاته.

إذا يركّز سيرل على فعلين اثنين: الفعل القضوي والفعل الإنجازي؛ إذ تتلخص دلالة الجملة عنده في محتواها القضوي (الإحالة والحمل) والقوة الإنجازية التي توابكها.

ثانيا- الاستلزام الحواري:

يعدّ الاستلزام الحواري من أهمّ المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات، وهذا المفهوم لصيق بلسانيات الخطاب، التي أخذ معها البحث اللساني منحى متميّزاً، إذ لم يعدّ الأمر معها يُعنى بوضع نظريات عامة لعمليات الخطاب، وإنّما انصبّ الاهتمام على العملية في حدّ ذاتها¹⁴ ويُعنى بالاستلزام الحواريّ أنّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، فالمراد به إيضاح الاختلاف بين مايقال **what is said** ، وما يُقصد **what is meant** ، فما يقال هو ماتعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية ، وما يُقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر؛ اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال، ورسائل الاستدلال، وهو ما يُعرف ب: "الاستلزام الحواري"¹⁵ ويعرّف الاستلزام الحواري كذلك بأنّه "المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة ص أو هو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر"¹⁶. من خلال

ما ذكر التعريفات السابقة للاستلزام الحواري يمكن القول إن الاستلزام من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب إنتاج الخطاب-إنه يقدم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة.

لقد ظهر مفهوم الاستلزام الحواري مع كرايس الذي حاول أن يضع نحواً قائماً على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، فهو يؤكد أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نُظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات¹⁷. بحيث لاحظ جرايس أن جمل اللغات الطبيعية يمكن في بعض المقامات، أن تدل على معنى غير المعنى الذي يوحي به محتواها القضوي أو معناها الحرفي¹⁸.

ويمثل جرايس بهذا المثال في هذا المقام: يكتب الأستاذ -أ- للأستاذ -ب- متسائلاً عن استعداد الطالب -ج- لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة، فيجيب الأستاذ: إن الطالب -ج- لاعب كرة ممتاز. عند تفحص الحمولة الدلالية للجمل نجد أنها تدل على معنيين اثنين في نفس الوقت؛ معناها الحرفي أن الطالب -ج- من لاعبي الكرة الممتازين ومعنى مدركا مقاميا؛ أن الطالب -ج- ليس له أي استعداد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة¹⁹.

ثالثاً- الاستلزام الحواري عند السكاكي:

يتميز في الدرس اللغوي العربي القديم بين قسمين من البحوث؛ قسم يعتمد على الاهتمام بالخصائص التداولية تأويلية؛ مطابقة المقال لمقتضى الحال، نحو (مفتاح العلوم) للسكاكي، والآخر يعتمد على الاهتمام به توليدياً؛ بمعنى أن الخصائص التداولية تمثل لها في الأساس ذاته، نحو (دلائل الإعجاز) للجرجاني²⁰. وبرز في هذا المجال اهتمام النحاة والبلاغيين بدراسة أغراض الأساليب، من الدلالة الحقيقية إلى دلالات أخرى يقتضيها المقام²¹.

لقد تمّ الانتباه في الفكر اللغوي القديم إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، ليس من حيث كونها مفهوماً، وإنما باعتبارها إشكالا دلالياً، يبرز من حين لآخر أثناء الخطاب، وقد طُرحت جملة اقتراحات لوصفه واستقصائه وخاصة فيما يخصّ علمي البلاغة والأصول، بيد أن هذه الاقتراحات بقيت في نطاق ملاحظة "الظاهرة" والتمثيل لها، ثم وضع مصطلحات تتباين بتباين العلوم المعنية كـ "الأغراض التي تؤديها الأساليب" و "دلالة المفهوم" و "المعنى المقامي" و "المعنى الفرعي"²².

لقد اتجه "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" اتجاهاً يروم التدقيق في مناقشة المسائل وعرضها، من جهة، والشمول من جهة ثانية، فلقد نظم عمله وفق مستويات ينصب بعضها على دراسة ومناقشة العبارات اللغوية بالنظر إلى بنيتها المكونة لها، فيما ينصب بعضها الآخر على الأغراض الكلامية المترتبة عن النطق بتلك العبارات، من منطلق كون الكلام إما أن يكون مفرداً أو مركباً²³.

إنّ السكاكي من خلال قوله إنّ "التعرّض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة، لكن لا يخفى عليك حال التعرّض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ماهو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثمّ حمل ما عدا ذلك عليه شيئاً فشيئاً على موجب المساق، والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل".²⁴ يؤمن يقيناً بأنّ دلالة خواص الكلام تختلف عن دلالة تراكيبه ضرورة، وذلك بالنظر إلى خاصية التركيب من جهة وبحكم السياق الذي توظف فيه من جهة ثانية، وبذلك يكون السكاكي قد أولى عناية كبيرة لـ "مطابقة الكلام لتمام المراد منه" على اعتبار أنّ العديد من العبارات اللغوية يتغير

معناها بحسب السياق الذي تستعمل فيه، الأمر الذي يجعلها تفيد معنى إضافيا جديدا إلى الدلالة الأصلية²⁵

من خلال قول السكاكي يتضح أنّ تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال توحى بأنّه يجمع بين المستوى الدلالي والمستوى التداولي في علم المعاني، لذا فإن اقترح أن تساغ بنية النحو الثلاثية الأبعاد عند السكاكي كمايلي²⁶:

- المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي: هو مستوى تؤدي فيه العبارة اللغوية فعلا تعبيريا، صوتيا، صرفيا، معجميا؛ أي المفرد.
- المستوى التركيبي الدلالي: وهو مستوى تؤدي فيه العبارة اللغوية فعلا تعبيريا قضويا؛ أي المركب.
- المستوى التداولي: وهو مستوى تؤدي فيه العبارة فعلا غرضيا تأثيريا، أي مطابقة الكلام المركب لما يجب أن يتكلم له.

يبدو أنّ الاستلزام الحواري عند السكاكي يحتمّ الاهتمام بالمستوى التداولي على اعتبار أنه يسعف في الكشف عن الإمكانيات المتباينة لاستعمال اللغة، والكيفية التي يتم بها ذلك، انطلاقا من فكرة أنّ هذا المستوى هو نتيجة لعلمي المعاني والبيان، فعلم المعاني كما حدّد السكاكي يمكن من دراسة المعنى في علاقته بقائله أولا، ثم بالسياق (المقام الذي يُنجز فيه ثانيا) حتّى يتمّ التمييز وفق قواعد محددة بين الصريح من المعنى والمستلزم منه²⁷

أ- الخبر والإنشاء عند السكاكي:

يقسّم السكاكي الكلام إلى خبر وإنشاء، ويقتصر الإنشاء في الطلب في مقابل الخبر، بحيث يقول: "السابق للاعتبار في كلام العرب شيئان: الخبر والطلب"²⁸ إنّ الخبر عند السكاكي لا يعدو أن يكون الحكم بمفهوم لمفهوم، غير أن هذا الحكم إما أن يتمّ بالنظر

إلى الواقع، أو بالنظر إلى اعتقاد المتكلم، بمعنى أن احتمال الخبر للصدق والكذب، يتم انطلاقاً من مطابقة ذلك الحكم للواقع، أو عدم مطابقته له، كما أن للخبر استعمالات متباينة بالنظر إلى تباين مقامات ورودها، وعليه لإِنَّ السكاكي يذهب إلى أنّ الخبر ثلاثة أنواع هي ²⁹ :

1- الخبر الابتدائي: وهو الذي يلقي إلى مخاطب خال الذهن ويقصد الإفادة، فيتم نقشه في ذهنه إما ثبوتاً أو انتفاء، مع الاستعاضة عن أدوات التوكيد.

2- الخبر الطلبي: هو ذلك الخبر الذي يُلقى إلى مخاطب طالب للمعلومة التي يحملها الخبر، كي يزول تردده، ويتعين على المخاطب استعمال أدوات لتقوية الخبر، نحو :

- لعمرو فاهم.
- إنَّ عمرا عارف.
- الخبر الإنكاري: هو الخبر الذي يُلقى إلى مخاطب معترض على ذلك الحكم،

الشيء الذي يحتمّ توظيف أدوات تأكيدية لترسيخ ذلك الحكم، نحو:

✓ إنيّ لحق.

✓ والله إنيّ لحق.

ويسمّي السكاكي السير على طريق هذه الأضرِب الثلاثة من الخبر "إخراج الكلام على مقتضى الظاهر"، إلا أنّه قد تأتي مقامات تفرض إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ومن ثمة تتولد أغراض مختلفة نحو ³⁰ :

*التوبيخ: "إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون" سورة البقرة الآية 12

*الإرشاد: "إنّما يتذكر أولو الألباب" سورة الرعد الآية 19

*التهديد: "لا إله إلاّ الله تُحشرون" سورة آل عمران الآية 158

تبدو الآيات السابق ذكرها كلّها أخباراً محددة، إلا أنّ الذي جعلها تفيد مآتمّ الإشارة إليه من معان، هو المقامات التي وردت فيها.

أمّا الطلب عند السكاكي فإنه لا يختلف عن الخبر في الاستعمال إلّا من حيث كونه لا يحتمل الصدق والكذب، وعليه نجد السكاكي يركّز على أبوابه، وكيفية توليدها لأغراض فرعية، تناسب المقامات التي تنجز فيها وفي هذا السياق يقول: "لقد سبق أن حقيقة الطلب حقيقة معلومة مستغنية عن التحديد، فلا نتكلم هناك، وإنّما نتكلم في مقدمة يستند عليها المقام، من بيان ما لا بد للطلب ومن تنوعه، والتنبيه على أبوابه في الكلام، وكيفية توليدها لما سوى أصلها"³¹

ويرتكز الطلب عند السكاكي على العناصر الآتية: التصور-المطلوب-مطلوب غير حاصل وقت الطلب، وترتبط بها شروط تكون نسقا من الضوابط التي يتمّ وفقها إجراء معاني الطلب على أصلها، وقد حصرها السكاكي في خمسة بوصفها أغراضاً أصلية وهي: الاستفهام والنهي والأمر والتمني، والنداء³² إذاً الطلب عند السكاكي نوعان هما "نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول... ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول"، والمطلوب بالنظر لآلي أن لا واسطة بين الثبوت والانتفاء يستلزم انحصاره في قسمين: حصول ثبوت متصور، وحصول انتفاء، وبالنظر إلى كون الحصول ذهنياً وخارجياً، يستلزم انقساماً إلى أربعة أقسام: حصولين في الذهن، وحصولين في الخارج"³³

يمكن القول إنّ عند إجراء معاني الطلب الخمسة على أصلها، فإنّ العبارة اللغوية تحمل المعنى الذي تدلّ عليه صيغتها الصورية من نداء واستفهام وغيرهما. أمّا عندما يتعذر ذلك؛ أي حين تؤدي المعاني السالفة في نطاق شروط لا تنضبط لمبدأ الإجراء على الأصل، فإنّها تخرج إلى معان فرعية أو إضافية يسميها السكاكي أغراضاً فرعية ومن أمثلة هذا الصنف من المعاني مايلي³⁴:

1 - إذا قلت لمن همك هم: ليتك تحدثني، امتنع إجراء التمني، والحال ماذكر على أصله، فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في حصوله ، وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى السؤال.

2 - إذا قلت لمن تراه لا ينزل: ألا تنزل فتصيب خيرا؟ امتنع أن يكون المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلًا، ويوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو: ألا تحب النزول مع محبتنا إياه؟ وولد معنى العرض.

3 - إذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه: افعله، امتنع أن تكون المطلوب بالأمر حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناعه وتوجه إلى مطلوب ممكن الحصول، مثل: بيان عجزه وتولد التعجيز والتحدّي.

من خلال ما سبق يمكن القول إنّ الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم يتم في مرحلتين متتاليتين:

* المرحلة الأولى: يؤدي عدم مطابقة المقام إلى خرم أحد شروط إجراء المعنى الأصلي، فيمتنع إجراؤه.

* المرحلة الثانية: يتولد عن الإخلال بشرط المعنى الأصلي، ومن ثمة امتناع إجرائه معنى آخر يناسب المقام.

رابعا- الاستلزام الحوارى فى نظرية الأفعال الكلامية: "الأفعال اللغوية غير المباشرة"

1- الإنشائيات:

انطلاقا من تأمل الإخبارات وعلاقتها بالواقع أو الصدق، أتى أوستين بمفهوم جديد يتمثل في "الإنشائي" أو "القول الإنشائي" فمن جهة أولى؛ يطور وجهة نظر حول اللغة تُعنى بقول الرسالة ولا تقتصر على مضمونه، وفي هذا المساق، يُدخل ضمن تأمله المفهمة

المتعلقة بـ "الورود" كان حدها يبرس، ومن جهة أخرى فإنه يحاول التحقق من نجاعة معايير الصدق والكذب المطبقة تقليدياً على الأقوال³⁵ ويضيف أوستين بعض الجمل والأقوال المتشكلة حول جملة من الأفعال المستعملة لاتنسحب عليها هذه المقاييس ومنها³⁶ :

أ- أمّا لا "تصف" ولا "تنقل" ولا "تقرر" شيئاً البتة، وليست صادقة أو كاذبة وهي كثيرة.
ب- إنّ قول الجملة يعني تنفيذ عمل أو جزء من ذلك التنفيذ، ولذلك فإننا لانستطيع أن نصفه ببساطة بكونه عمل قول شيء ما. ويمثّل لها أوستين بمايلي³⁷ :

1 . نعم، أقبل بما ... يطابق القول: أأخذ هذه المرأة زوجة شرعية، عندما تقال كلمة "نعم" عند عقد الزفاف.

2 . أسمى هذه الباخرة "الملكة اليزابيث" تقال عند فض قارورة خمر تلقاء هيكلك تلك الباخرة بمناسبة تدشينها.

إنّ هذه الأفعال الإنشائية تعود إلى فعل شيء ما فقط بمجرد التلفظ بها، بشرط توفر شروط نجاح معيّنة، وهي لا تصف أعمالاً بل هي في حدّ ذاتها أعمال (الزواج، المباركة، التوريت، المراهنة) وهذا ما جعل أوستين يسميها "إنشائيات"³⁸. وبذلك أكد سيرل وثبت فكرة مفادها أنّ العنصر الأساسي في التواصل الإنساني ليس مقطعاً داخلياً في اللغة مثل "الكلمة" وإنّما هو عمل القول أو إنشاء القول³⁹.

ولوصف هذه الظاهرة اقترح غرايس وضع مجموعة من القواعد يعدّها ضابطة لكلّ حوار لغوي، هذه القواعد أربع قواعد يحكمها جميعها مبدأ عام هو مبدأ التعاون، وفيما يلي صياغة مبدأ التعاون والقواعد الأربع المتفرعة عنه⁴⁰ :

1- مبدأ التعاون : اجعل تدخلك مطابقاً لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه، في المرحلة التي تتدخل فيها.

2- قاعدة الكمّ :

- أ- اجعل تدخلك حاملا من الإفادة ما يقتضيه الغرض من الحوار.
- ب- لا يكن تدخلك حاملا من الإفادة أكثر مما يقتضيه الغرض من الحوار.

3- قاعدة الكيف: اجعل تدخلك صادقا

- لا تقل ماتعتقد أنه كاذب .
- لا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

4- قاعدة الورد: اجعل تدخلك واردا

5- قاعدة الكيفية :

- ليكن تدخلك واضحا.
- ليكن تدخلك موجزا.
- اجتنب الغموض.
- اجتنب الالتباس.

وتحصل في نظر جرايس، ظاهرة استلزام جملة ما لمعنى مقامي غير معناها الحرفي "ظاهرة الاستلزام الحوارية" كما يسميها حين يتم خرق إحدى القواعد الأربع، مع احترام مبدأ التعاون⁴¹.

ويدرج كرايس هذا الضرب من الدلالة في تصنيف عام للمعاني التي يمكن أن تدل عليها العبارات اللغوية، بحيث يقوم هذا التصنيف على المقابلات الآتية⁴² :

- 1 -تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية، وتعدّ معاني "صریحة" المعاني المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها في حين تعدّ ضمنية المعاني التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة، بحي تشمل حمولة المعاني الصريحة: (أ) المحتوى القضوي (معاني

مفردات الجملة مضموما بعضها إلى بعض) و (ب) القوة الإنجازية الحرفية (القوة الانجازية المؤشر لها بصيغة الجملة كالاستفهام والأمر والإخبار...)

2- المعاني الضمنية صنفان: معانٍ عُرفية ومعانٍ حوارية أو سياقية، تعدّ معاني عرفية المعاني المرتبطة بالجملة ارتباطا يجعلها لا تتغير بتغير السياقات في حين تعدّ معاني حوارية المعاني التي تتولد طبقا للسياقات أو المقامات التي تنجز فيها الجملة، ومن المعاني المتضمنة عرفا المعنى المقتضى أو الاقتضاء والمعنى المستلزم منطقيا، أمّا المعاني الضمنية المتولدة عن السياق فهي نوعان: المعاني الناتجة عن سياق خاص والمعاني البالغة من العموم أمّا لم تعد مرتبطة بسياق خاص أو بطبقة معينة من السياقات ، بحيث يصطلح كرايس على تسمية هذين النوعين من المعاني الضمنية "الاستلزمات الحوارية الخاصة" و"الاستلزمات الحوارية المعممة"⁴³.

خامسا- نقاط التقاطع بين البلاغة العربية والاستلزام الحوارية التداولي:

إنّ المتفحص لنصوص الفكر اللغوي العربي القديم، يجد أنّ اللغويين العرب القدماء لم يهتموا فقط بدراسة اللغة، و إنّما عنوا أيضا بالمتكلم وأكّدوا على أهميته في إنجاز الخطاب، ومن أقوى مظاهر عنايتهم بالمتكلم كثرة خطابه عن لاطاقاته وقدراته اللغوية⁴⁴، من هذه الخطابات أنّهم كانوا يتحدثون عن ثلاثة أنماط من القدرة هي :

أ- قدرة لسانية: وهي عبارة عن معرفة المدلولات معرفة قائمة في النفوس بصورة سابقة عن وضع الألفاظ الدالة عليها، ودليل ذلك يقول الجرجاني: "أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة، إنّما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها، لأدّى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالتة، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعتها لها لتعرف بها، حتى كأنهم لم يكونوا قالوا: "رجل" و"فرس" و"دار" لما كان يكون لنا علم بهذه الأجناس"⁴⁵

ب- قدرة لغوية: وهي المتعلقة بمعرفة قواعد لغة محددة. إلا أن هذه المعرفة تستلزم القدرة السابقة، إذ المتكلم: "لا يكون متكلماً حتى يستعمل أوضاع لغة على ما وضعت عليه"⁴⁶

ج- قدرة خطابية: وهي التي تمكن المتكلم من إنجاز خطابه وتنظيمه تبعاً لمتطلبات المقام، ووفقاً للمرامي التي يريد بلوغها وغالباً ما كانوا يحيلون على هذه المعرفة بـ "الفصاحة" و "البلاغة" وعلى اعتبار أن الفصاحة عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضعي اللغة... فإنّ هذه القدرة تستلزم معرفة نسق اللغة التي هي مادتها⁴⁷.

إنّ مفهوم "القدرة" كان حاضراً عند اللغويين العرب القدماء، وإن سمّوه بأسماء مختلفة متباينة كـ "الطبع" و "البديهة" و "السليقة" و "الملكة" إلّا أنّ مقصودهم بهذه المفاهيم فيما يبدو لا يقف عند حدود القواعد النحوية الصرف، وإنّما يتعداها إلى قواعد الخطاب أو التواصل، بحيث لقد كان معظم اللغويين العرب القدماء يربطون اللغة أثناء تعريفها بالغرض من استعمالها، وينظرون إلى الأغراض بوصفها أساس كل كلام⁴⁸.

وبذلك يعدّ الحديث عن حقل اللسانيات التداولية في التراث العربي امتداداً معرفياً للمدونة العربية، إذ أن حاجة البحث اليوم إلى مقولات الدرس الغربي الحديث وكشوفاته، لاتلغي بأيّة حال حاجته القائمة إلى التراث العربي والإنساني على اختلاف مشاربه، لتحديد رؤاه، وضبط أصول المعرفة الإنسانية، لئلا تكون مسaire للفكر الحديث ومعزولة عن أيّ مرجعية أو هويّة⁴⁹. وتتمثل الدراسات اللغوية العربية التداولية القديمة في كلّ ما يرتبط بالتواصل اللغوي من الاهتمام بالسماع واعتبار المخاطب، وبيان دور المتكلم في صياغة الخطاب وإنتاجه، والإلمام بكلّ العناصر الفاعلة في الإبلاغ، ومعيار الصدق والكذب، والمطابقة مع الواقع وعدمه؛ ذلك أنّ دراسة اللغة في التراث العربي، ميزتها

بعض السمات التي هي من أهم المبادئ التداولية الحديثة، فقد تناول الدارسون القدماء مايلي⁵⁰ :

- 1- أنّ التكلم يتم لغايات وأهداف أو إشباع حاجات أو الحصول على فائدة.
 - 2- تستعمل اللغة للأغراض والمآرب ذاتها.
 - 3- يضفي المتحاورون على الملفوظات دلالات أخرى غير ظاهرة.
 - 4- لاتغفل البلاغة العربية ذلك بل إنّها تعتمد مبدأ: لكل مقام مقال.
 - 5- دراسة ظاهر الإحالة، أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها.
 - 6- الاهتمام بدراسة أفعال الكلام.
 - 7- تحدّد الوظيفة - جزئيا على الأقل - البنية، مما يستدعي ربط خصائص البنية بالأغراض المستهدف إنجازها باللغة.
 - 8- دراسة مجالات الترابط بين البنية والوظيفة.
- وبذلك يكون أهم مصادر التفكير التداولي اللغوي عند العرب، علم البلاغة، علم النحو، النقد، الخطابة، لإضافة إلى ما قدّمه علماء الأصول الذين يمثلون - إلى جانب البلاغيين - اتجاهها فريدا في التراث العربي، يربط بين الخصائص الصورية للموضوع وخصائصه التداولية⁵¹

خاتمة

بعد عرض الاستلزام الحواري في كلّ من الدرس البلاغي العربي والدرس التداولي المعاصر نصل إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

- ❖ لقد أسهمت نظرية الاستلزام الحواري في سد ثغرة في علم الدلالة، إذ فسرت المعنى بعيداً عن الشروط الحقيقية والمطابقة للواقع، وذلك عندما حاول (غرايس) الاجابة عن مجموعة أسئلة تخص مفهوم المعنى.
- ❖ ويشترط غرايس لتحقيق (الاستلزام الحواري) أن يهتم المتكلم بالمعطيات الآتية:

- 1- المعنى الحرفي للكلمات الواردة في القول.
 - 2- مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه.
 - 3 -السياق اللغوي وغير اللغوي للخطاب.
 - 4 -عناصر أخرى تتصل بالخلفية المعرفية.
 - 5 -يجب على المساهمين في الحوار أن يكونوا ذات معرفة بالمعطيات الآتية الذكر، وأن يصدروا أثناء عملية التحوار عن افتراض هذه المعطيات.
- ❖ أن العبارات اللغوية لا يمكن تحديد معانيها بالوقوف على دلالة تراكيبها فقط؛ لأن كل ما يحيط بالخطاب من ظروف انتاجه كالعناصر السياقية والمقامية الإنجازية وحيثيات الاستعمال، لها دورٌ واضح في استخلاص المعنى من النص الخطابي.
- ❖ إنّ مقترحات السكاكي التي يقدمها لتحليل ظاهرة الاستلزام الحوارية تبقى على درجة عالية من الدقة والشمولية.
- ❖ إنّ مآطره السكاكي بخصوص الاستلزام الحوارية استند إلى مميزات الكلام وخصائصه ولم يستند إلى إسقاطات و تأويلات بعيدة تخرج به إلى مسافات غير مناسبة.

الهوامش :

- 1 - عبد الهادي بن طافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 17.
- 2 - المرجع نفسه، ص 18.
- 3 -المرجع نفسه، ص 18.
- 4 -خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط2009، ص 86.
- 5 -نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2013، ص 41.
- 6 -المرجع نفسه، ص 41.

- 7 - المرجع نفسه، ص 41.
- 8 - المرجع نفسه، ص 42.
- 9 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط1، 1987، ص 18.
- 10 - المرجع نفسه، ص 19.
- 11 - المرجع نفسه، ص 19-20.
- 12 - المرجع نفسه، ص 20.
- 13 - المرجع نفسه، ص 21.
- 14 - العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2011، ص 17.
- 15 - نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولى والوظيفى فى الدرس اللغوى، ص 79.
- 16 - العياشى أدراوى: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، ص 18.
- 17 - المرجع نفسه، ص 18.
- 18 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص 22.
- 19 - المرجع نفسه، ص 22.
- 20 - خليفة بوجادي: فى اللسانيات التداولية، ص 141.
- 21 - المرجع نفسه، ص 141.
- 22 - العياشى أدراوى: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، ص 25.
- 23 - العياشى أدراوى: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، ص 26.
- 24 - السكاكى يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 164.
- 25 - العياشى أدراوى: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، ص 26.
- 26 - المرجع نفسه، ص 27.
- 27 - المرجع نفسه، ص 27_28.
- 28 - السكاكى: مفتاح العلوم، ص 164.
- 29 - المرجع نفسه، ص 29.
- 30 - المرجع نفسه، ص 30.
- 31 - السكاكى: مفتاح العلوم، ص 302.
- 32 - العياشى أدراوى: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، ص 31.
- 33 - السكاكى: مفتاح العلوم، ص 302.
- 34 - العياشى أدراوى: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، ص 32.

- 35 - فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007، ص52-53.
- 36 - المرجع نفسه، ص59.
- 37 - المرجع نفسه، ص59.
- 38 - المرجع نفسه، ص54.
- 39 - المرجع نفسه، ص55.
- 40 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص23.
- 41 - المرجع نفسه، ص23.
- 42 - المرجع نفسه، ص24.
- 43 - المرجع نفسه، ص24.
- 44 - العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص23.
- 45 - المرجع نفسه، ص23.
- 46 - المرجع نفسه، ص23.
- 47 - المرجع نفسه، ص23.
- 48 - المرجع نفسه، ص24.
- 49 - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص138.
- 50 - المرجع نفسه، ص139.
- 51 - المرجع نفسه، ص140، ص142.

قائمة المراجع:

- 1- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط1، 1987.
- 2- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2009.
- 3- السكاكي يوسف بن أي بكر بن محمد بن علي: مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

-
- 4- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- 5- العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارى فى التداول اللسانى، من الوعى بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2011.
- 6- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007.
- 7- نادية رمضان النجار: الاتجاه التداولى والوظيفى فى الدرس اللغوى، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2013.